

دور الأستاذ الجامعي في تحقيق جودة التعليم العالي

د. بنتمة ليلي جامعة مسيلة

ملخص:

التغير الحاصل في المجتمعات اليوم وما أفرزه من تطور في شتى المجالات بما فيها المجال المعرفي ألزم مؤسسات المجتمع وعلى رأسها الجامعة مواكبة هذا التغير، والقيام بدورها الحقيقي الذي من أجله وجدت، من خلال الخروج من دائرة الجمود والتشبث بقناعات لا تتماشى مع ما يحدث اليوم في المجتمع، الذي أصبح يعرف بمجتمع المعرفة نظرا للتدفق الفكري والمعرفي الحاصل، والجامعة الجزائرية كغيرها من جامعات العالم لتواكب هذا التدفق المعرفي والتطور الحاصل، والخروج من دائرة الكم إلى دائرة مخرجات نوعية قادرة على صناعة الفارق، قامت بالعديد من الإصلاحات منذ الاستقلال إلى يومنا هذا آخرها مشروع نظام "ل.م.د"، إلا أنّ هذه الإصلاحات لا يمكن أن تؤتي ثمارها في ظل تجاهل دور المحرك الفعلي لهذه الإصلاحات وصانع التغيير داخل هذه المؤسسة ألا وهو الأستاذ الجامعي الذي يعد بمثابة القاطرة التي تقود هذه المؤسسة ومؤشر تطورها وكذا تصنيفها، لما له من أثر في صناعة الجودة داخل هذه المؤسسة، وهذا مادفعنا لطرح التساؤلات التالية التي جاء هذا المقال للإجابة عنها:

لماذا جودة التعليم العالي؟

ماهو دور الأستاذ الجامعي في تحقيق جودة التعليم العالي؟

ماهي العقبات التي تحول دون ذلك؟

مقدمة:

اليوم الجامعة الجزائرية تشهد العديد من التغيرات والإصلاحات التي وجدت من أجل مواكبة التغيرات الحاصلة في المحيط الخارجي، فمع تقدم العلم وتغير المجتمعات و كثرة التحديات كان لابد من إجراء إصلاحات تمكن الجامعة من تحقيق جودة مخرجاتها، وممارسة دورها الريادي في قيادة المجتمع والارتقاء بالجامعة من مؤسسة علمية مخرجاتها مجموعة من الأرقام إلى منظمة متعلمة تسعى إلى توفير فرص التعلم المستمر واستخدامه في تحقيق الأهداف وربط أداء الجامعة بمتطلبات سوق العمل، ذلك أنه لا يمكن فصل الجامعة عن المجتمع حتى أنه عرف هذا الأخير بفعل الجامعة فيه وأصبحت الجامعة مؤشر من مؤشرات صحته أو اعتلاله، غير أنه عند الحديث عن هذه المؤسسة لا يمكن تجاهل بأي حال من الأحوال محركها الأساسي وجوهر عملية التعليم العالي ومبدع الفكر وقائده ألا وهو الأستاذ الجامعي، الذي يعتبر الأصل في عملية الإصلاح والتطوير والتغيير وبقية عناصر التعليم العالي هي الفروع، فعند الحديث عن الجامعة وعملية إصلاح التعليم العالي دون الحديث عن قائد هذه العملية يعتبر من العبث والجهالة بمكان، فهو واجهة التعليم العالي ومؤشر صحته والذي له صلة مباشرة بمخرجات هذه المؤسسة، فالمشاهد اليوم لواقع الجامعة الجزائرية يرى تدهورا واضحا في المستوى العلمي لروادها حتى أن هذه الأخيرة فقدت هويتها وتكاد تكون في قوقعة أو بعيدة عن مواكبة التغيرات الحاصلة، وما الإصلاحات الجارية والتي آخرها مشروع نظام "ل م د" إلا دليل على الاعتراف بهذا المستوى، والغريب في الأمر أنه حتى مع هذه الإصلاحات هناك تغييب لمن سيسهر على تطبيقها ألا وهو الأستاذ الجامعي، فمثلا هو معروف فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف نرجو لهذه المؤسسة الريادة وقيادة المجتمع وتخرج النخبة والوصول إلى معايير الجودة العالمية في التعليم وقائد هذه العملية بعيد عن الإصلاح، فالتعليم رسالة وصولها بشكل جيد أو سيء بالدرجة الأولى يعود إلى حامل هذه الرسالة، لهذا نجد (Albert Edmonton) يعتبر من بين مؤشرات ومعايير جودة العملية التعليمية فعالية التدريس وهي إشارة واضحة لدور الاستاذ، فيما ربطها Stanley Gordon بسمة وشهرة هيئة التدريس، والتي تعود بالأثر الرجعي على سمعة ورتبة الجامعة التي يعملون بها وتصنيفها ضمن مختلف الجامعات المحلية والدولية، وما المصطلح الذي يطلق على نمط معين من المجتمعات اليوم "مجتمع المعرفة" إلا دليل على التوجه العالمي نحو هذا النوع من المجتمعات التي عرفت بأهل المعرفة فيها، والتي أصبحت المعرفة فيها ضرورة حتمية ومظهرا للتقدم العلمي والمجتمعي، وهذا لا يعني تغييب الأطراف الفاعلة الأخرى من طلبة وإدارة بمختلف

مستوياتها والتي لها دور أيضا في تحقيق جودة التعليم العالي، لكن نحن من خلال هذه الوثيقة البحثية نريد تسليط الضوء على دور الأستاذ الجامعي في تحقيق هذه الجودة للإعتبرات السابقة وباعتبار أن: "الأساتذة الجامعيون هم حجر الزاوية في العملية المعرفية والتعليمية ويشكلون أهم وأندر عوامل الانتاج في الجامعة"1، ومنه نطرح التساؤلات التالية:

لماذا جودة التعليم العالي؟

ماهو دور الأستاذ الجامعي في تحقيق جودة التعليم العالي ؟

ماهي العقبات التي تحول دون ذلك؟

قبل التطرق لمضمون هذه الوثيقة البحثية يجب تحديد المصطلحات التالية والتي تعتبر كلمات مفتاحية لها:

1-جودة التعليم العالي: والمقصود به:

-مجموعة المعايير والإجراءات التي يهدف تبنيها وتنفيذها إلى تحقيق أقصى درجة من الأهداف المتوخاة للمؤسسة والتحسين المتواصل في الأداء والمنتج وفقا للأغراض المطلوبة والمواصفات المنشودة بأفضل طرق وأقل جهد وتكلفة ممكنين².

-معايير عالمية للقياس والاعتراف والانتقال من ثقافة الحد الأدنى إلى ثقافة الإتقان والتميز واعتبار المستقبل هدفا نسعى إليه والانتقال من تكريس الماضي والنظرة الماضية إلى المستقبل الذي تعيش فيه الأجيال التي تتعلم الآن³.

كما يعرفها "غرهام غيبس" (Graham Gibbs) أنها: كل ما يؤدي إلى تطوير القدرات الفكرية والخيالية عند الطلاب وتحسين مستوى الفهم والاستيعاب لديهم⁴.

-وتهدف الجودة إلى ضمان أداء جيد في مؤسسة التعليم العالي يشمل كل جوانب العمل بحيث يؤدي في

النهاية إلى مخرجات نوعية عالية الكفاءة قادرة على إثبات الذات والمنافسة في ميادين العمل والحياة⁵.
_فما نجد كلا من (Jomtien & Dakar) ركزا على دور الاساتذة في هذه العملية في تعريفها لجودة التعليم، حيث أشارا الى أنها تمثل: "إدخال خصائص التعلم المرغوبة من خلال عملية معالجة مستندة على التدريسيين الأكفاء الملمين بعلم أصول التدريس (Pedagogies) ومناهج تعليمية متكاملة ومناسبة في ظل نظام حوكمة عادل ومنصف"⁶.

- ويرى "عابدين" أن مفهوم الجودة في التربية يمكن تناوله من خمسة مداخل هي:⁷

1 -ربط تعريف الجودة في التربية بالأهداف بمعنى أن البرنامج التربوي يعتبر ذا جودة عندما يحقق الأهداف المنشودة منه.

2 -ربط تعريف الجودة بالمدخلات والعمليات لأهميتها في تحقيق الجودة.

3 -الجودة كمصطلح معياري: الحكم على مؤسسة تربوية أو فصل أو برنامج بأنه جيد أو رديء من خلال مجموعة من المعايير.

4 -جودة المؤسسات التربوية من خلال مقابلتها للحاجات الاقتصادية في المجتمع.

5- الجودة في مقابل الكم بمعنى التعبير عن جودة نظام أو برنامج تربوي من خلال آراء الأغلبية فيه هل هو جيد أم رديء.

✓ فمن خلال هذه الوثيقة البحثية نرى جودة التعليم العالي تتمثل في التركيز على العناصر التالية:
1- ضرورة تحديد أهداف العملية التربوية من البداية ذلك أن التعليم رسالة سامية تحتاج إلى تصميم مسبق للأهداف "ماذا نريد بالضبط".

2- الاهتمام بسياسة الكيف دون الكم .

3- التركيز على جانبي الجودة الواقعي والحسي، وهذا ما أكدته الخطيب في قوله: "أن الجودة في التعليم لها معنيان مرتبطان: واقعي وحسي، فالواقعي يعني التزام المؤسسة التعليمية بإنجاز معايير ومؤشرات حقيقية متعارف عليها مثل معدلات الكفاءة الداخلية الكمية ومعدلات تكلفة التعليم، أمّا الحسي فيرتكز على مشاعر وأحاسيس متلقي الخدمة كالطلاب وأولياء الأمور".⁸

4-توظيف الاساتذة الاكفاء الذين يحملون في طياتهم بذور الجودة.

2-الأستاذ الجامعي:

مثلا هو معروف الأستاذ الجامعي هو من يقوم بمهمة التدريس والبحث العلمي داخل الجامعة ويسهر على خدمة المجتمع من خلال أبحاثه وتعليم أفراد، ولأهمية دور الاستاذ والمعلم في المجتمع من خلال المؤسسة التي يتواجد فيها "الجامعة مثلا" نجد بسمارك قال: أن المعلم الألماني هو الذي مكن الألمان من احتلال باريس وليس الجيش"، وهي دلالة واضحة للدور الفعال للأستاذ في المجتمع فهو قائد الوعي وصانع التغيير في المجتمع، ونجد رشدي احمد طعيمة ومحمد بن سليمان البندري يعرفانه على أنه: "الذي يعمل للعلم و بالعلم يهتم بالتدريس والتعليم و يبذل جهدا في تحصيل مهارات التدريس وفهم نظريات التعليم، أكاديمي يجدد في العلم و يطور في التدريس، باحث في تخصصه و في تدريس هذا التخصص وتعليمه، أكاديمي يزرع باحثين و يرعاهم وينميهم ليكونوا خير خلف لخير سلف، أكاديمي اهتم بتقويم علمه وتدرسه وبحثه ونتاج أدائه في تعلم طلابه و أدائهم، يعمل مثابرا طوال الوقت على تطبيق عمله و تسخير بحثه في التصدي لقضايا خدمة المجتمع وتنمية البيئة والتصدي لمشكلاته والمساهمة في سد احتياجاته".⁹

والأستاذ الجامعي من وجهة نظرنا في هذه الوثيقة البحثية هو: "باحث صاحب رسالة سامية يسعى جاهدا لتنمية ذاته (القدرة على مواجهة وحل المشكلات..)، وتحسين أدائه(التطوير المستمر، القدرة على إيصال المعلومة

بشكل سهل وشيق، تحيين المادة العلمية)، والمساهمة في خدمة مجتمعه (النشاط العلمي "الاهتمام بقضايا المجتمع"، إيجاد حلول للمشكلات المجتمعية)، وهذا كله من باب الأمانة الاخلاقية التي تستوجب الاجادة في العمل.

الحاجة لجودة التعليم العالي I-

إعداد العنصر البشري القادر على إحداث التغيير المنشود وعلى تنمية المجتمع تعد من المهام الأساسية للجامعة، التي أصبح ينظر لها على أنها منظمة متعلمة وهي: "المنظمة التي تضع الخطط والأطر التنظيمية والاستراتيجيات والآليات بهدف زيادة قدرتها على التكيف مع التغيرات السريعة في البيئة ومواجهة التحديات وتحقيق أهدافها بنجاح من خلال تدعيم وتشجيع عمليات التعليم المستمر والتطوير الذاتي وتبادل التجارب والخبرات داخليا وخارجيا والتعلم الجماعي والإدارة الفعالة للمعرفة واستخدام التقنية في التعلم وتبادل المعرفة"¹⁰، وهي التي: "تمتلك طاقة للتحسين المستمر لفاعليتها ولأعضائها لإيجاد طرائق أفضل وجديدة لتنظيم جهودهم باتجاه تحقيق الهدف."¹¹

فالتعليم العالي هو استثمار شأنه شأن الاستثمارات الأخرى إلا أنه أصعبها لأنه يتعلق بالعنصر البشري غير أنه إذا نجح تكون مردوديته أكثر على حد قول M /CROUSIER ، فالجامعة هي بوابة العلم والمعرفة وهي صانعة التقدم وقائدة المجتمع من خلال وظائفها المتمثلة في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، هذه الأخيرة التي تؤكد ارتباط الجامعة بباقي مؤسسات المجتمع وأنها لم تخلق في أبراج عاجية وإنما وجدت لوظيفة سامية، حتى أن المجتمع من بين تعريفاته الحديثة هو فعل الجامعة فيه فإذا أردت أن تعرف مدى سلامة وصحة وتقدم المجتمع فاسأل عن حال الجامعة فيه.

هذه المؤسسة التي تحكمها مكونات الكتاب والطالب والاستاذ، فهي مؤسسة الفكر أولا ومؤسسة العلم ثانيا وهي مؤسسة كبيرة وإن صغرت ذات علاقة واسعة تربط القريب بالبعيد وتؤثر فيما حولها أكثر مما تتأثر بهم، وتنبع أهمية الجامعة من ذاتها وليس من أي اعتبارات أخرى ذلك أن العقول المثقفة ذات القدرة على قيادة مشاريع التقدم والريادة الاجتماعية في المجتمع تحتاج إلى المكان الصالح كي تعيش فيه، لأنَّ المكان الجيد يزيد من الانتاج الفكري والعقل الجيد بحاجة إلى عقل جيد مثله ليتفاعل معه.¹²

ونظرا لمكانة الجامعة ودورها البارز والعظيم في صناعة مجتمع النخبة وإحياء الأمة فالجودة في هذه المؤسسة (جودة المناهج وجودة التسيير وجودة الأداء والمخرجات... الخ) أمر مطلوب وضرورة ملحة للإعتبرات التالية:

1- اعتبار أخلاقي ديني:

مهمة التدريس مسؤولية عظيمة والتي تعد من الأمانات الواجب أداؤها على أكمل وجه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾¹³ ، كما أنّ الأستاذ الجامعي مسؤول عن الطلبة وعن نوع المعلومات التي يقدمها وكيفية تقديمها فهو محاسب عليهم فقد جاء في الحديث الشريف ﴿الأكلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...﴾¹⁴ ، والمتهاون في أداء هذه المسؤولية قد يحرم الجنة بسبب تقصيره، فعن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ مامن عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة ﴾¹⁵.

كما ذكر في تعريف الجودة فهذا المصطلح يتعلق بالكيف وليس بالكم، أي يشير إلى عملية الإلتقان في الأداء والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نجد الكثير من الآيات والأحاديث التي تحث على الإلتقان في كل شيء فهو من سمات الشخصية المسلمة إذ قال الله: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾¹⁶ ، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾¹⁷ ، وقوله تعالى: ﴿... صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾¹⁸.

وهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾¹⁹ ، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ ﴾²⁰ ، فالقيام بمهمة التعليم على أكمل وجه وإلتقان يعد أمانة وعدم الإجادة فيه يعد من الخيانة التي يجاسب عليها العبد يوم القيامة، مثلما جاء في الحديث ولهذا يعد تحقيق معيار الجودة في التعليم العالي قبل أن يكون ضرورة عصرية يتطلبها الوقت الراهن فهو ضرورة أخلاقية وواجب ديني ومطلب شرعي قبل كل شيء.

2- اعتبار الزمن:

التغير الذي تشهده المجتمعات بفعل التطور التكنولوجي والتقدم العلمي يفرض على الجامعة مواكبة هذه التحولات حتى تحافظ على مكانتها وتعزز دورها وحتى لا تكون خارج دائرة التأثير والتغيير، لأنّ الوقت الراهن لا مكان فيه للرداءة وسياسة الكم دون الكيف .

3- اعتبار وظيفي:

وظيفة الجامعة في المجتمع تفرض عليها تحقيق الجودة في أدائها لأن مخرجاتها هم معاول البناء والتنمية التي يحتاجها المجتمع، والنهوض بالمجتمع هي رسالة الجامعة من خلال وظائفها المختلفة وبالتحديد الوظيفة الثالثة المتمثلة في خدمة المجتمع التي يعرفها كل من SHANON و SHOEFELD على أنها: " نشاط ونظام

تعليمي موجه إلى الغير طلاب الجامعة ، ويمكن عن طريقه نشر المعرفة خارج جدران الجامعة وذلك بغرض إحداث تغيرات سلوكية و تنموية في البيئة المحيطة بالجامعة و ووحدها الإنتاجية والاجتماعية المختلفة"
21 .

فعلى قدر جودة التعليم على قدر جودة المخرجات وعلى قدر جودة البناء والتنمية، أي أنّ جودة التعليم الجامعي هي ضرورة مجتمعية قبل كل شيء.

كما يعتبر الحرص على تحقيق معيار الجودة في التعليم العالي ضرورة ملحة من أجل تحقيق الأهداف التالية:²²

- 1- اعتماد أسلوب العمل الجماعي التعاوني، ومقدار ما يمتلكه العنصر البشري في المؤسسة من قدرات ومواهب وخبرات.
- 2- الحرص على استمرار التحسين والتطوير لتحسين الجودة.
- 3- تقليل الأخطاء من منطلق أداء العمل الصحيح من أول مرة، الأمر الذي يؤدي إلى تقليل التكلفة في الحد الأدنى مع الحصول على رضى المستفيدين من العملية التعليمية.
- 4- الحرص على حساب تكلفة الجودة داخل المؤسسة لتشمل كافة الأعمال المتعلقة بالخدمة المقدمة مثل تكاليف الفرص الضائعة، تكلفة الأخطاء ، عمليات التقييم سمعة المؤسسة.
- 5- النهج الشمولي لكافة المجالات في النظام التعليمي كالأهداف والهيكل التنظيمي وأساليب العمل والدافعية والتحفيز والإجراءات.

دور الأستاذ الجامعي في تحقيق جودة التعليم العالي:II-

يعتبر أبو حامد الغزالي أنّ: "صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يجتهد فيها"²³ ، وإذا كان التعليم يعتبر صناعة فهو بحاجة إلى صانع مجيد ومتمكن لمهنته فمثلما تعتبر الجامعة واجهة المجتمع، يعد الأستاذ الجامعي واجهة الجامعة ومحركها الأساسي وقائد عمليات التجديد والتحديث فيها، هذا الأخير له مكانة بارزة داخل هذه المؤسسة للدور الذي يلعبه فيها، والذي يسعى من خلاله إلى الارتقاء بمستوى الجامعة ومنه مستوى ونوعية مخرجاتها، والأستاذ الذي يحقق جودة التعليم العالي هو ليس أيُّ أستاذ، وإنما هو ذلك الشخص الكفء الذي يتميز بمجموعة من الخصائص المتمثلة في:²⁴

أولا- الصفات المهنية: وتتمثل فيما يلي :

- تقدير مهنة التعليم والاعتزاز بكونه أستاذا في الجامعة واحترام النظام الجامعي وتعليماته .

- الإلمام بأهداف التعليم الجامعي وكيفية تحقيقها .
 - الإسهام في تقدم وتطوير قسمه الذي يعمل فيه والكلية والجامعة .
 - تنمية العلاقات الإنسانية الإيجابية مع الطلاب والتعامل معهم بالود والاحترام .
 - إظهار مستوى عالٍ من الأخلاق تتسق مع أخلاقيات المرين الأفاضل .
 - العمل على التطوير الذاتي وتطوير الأداء الأكاديمي والمهني ومهارات البحث العلمي .
- ثانيا- الصفات الشخصية:** وتتمثل فيما يلي :

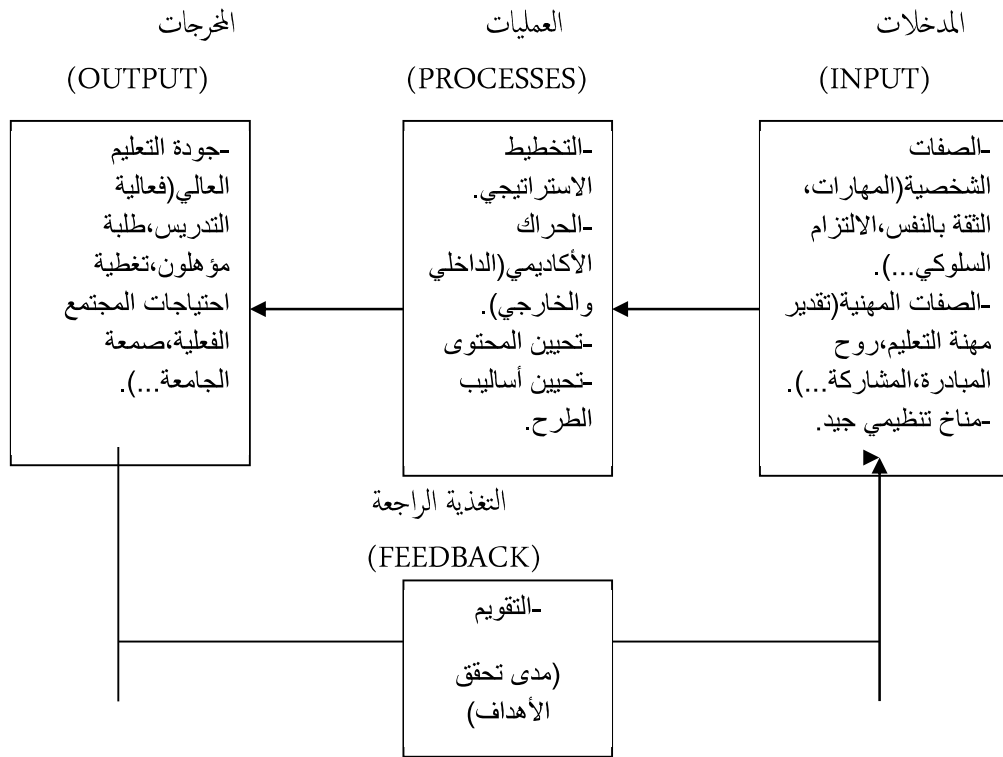
- التحلي بقدرات ومهارات التفكير العلمي واتجاهاته .
- الالتزام في سلوكه مع الآخرين بالمنهج الرباني حتى يكون قدوة صالحة لطلابه في أقواله وأفعاله .
- التمتع بالصحة الجسمية والنفسية التي تؤهله للقيام بوظائفه المختلفة .
- الاحتفاظ بتحكم انفعالي مناسب فلا يدع للغضب أن يملكه ولا العجلة في المواقف المختلفة .
- الثقة بالنفس وقوة الشخصية .
- الإخلاص في العمل وإنجاز الأعمال والمسؤوليات بمجدية واهتمام .

❖ **فهذا الأستاذ الذي يتمتع بهذه المواصفات يساهم في تحقيق جودة التعليم العالي من خلال النقاط التالية:**

- 1- إعداد أجيال مبدعة من خلال تنمية التفكير الإبداعي لدى الطلبة، وتزويدهم بمهارات علمية تسمح لهم بالتفكير العلمي السليم وعلى القدرة على حل المشكلات .
- 2- إنتاج المعرفة والمساهمة في مشاريع بحثية لديها عائد تنموي في المجتمع، وليست مجرد مشاريع تضيف رصيذا ماديا أو علميا في سجل صاحبها، وهذه النقطة يساهم في تفعيل دور الجامعة في تنمية المجتمع.
- 3- المشاركة في فتح تخصصات للطلبة توافق متطلبات سوق العمل من جهة، وطبيعة المنطقة من جهة أخرى "الليسانس المهني".
- 4- تكوين حلقات نقاش دورية للوقوف على أهم انشغالات الطلبة واحتياجاتهم والخروج بحلول فعلية.
- 5- المساهمة مع فريق عمل داخل القسم للسهر على:

- تحيين الدروس (المحتوى) بما يتواءم والتغيرات الراهنة فنحن اليوم في عصر التدفق العلمي ولا يعقل أن المادة التي يدرسها الأستاذ منذ زمن بعيد تبقى مثلما هي دون تجديد .
 - تحيين أساليب الطرح والتقديم بما يسهل مرور المعلومة بشكل سلس وسهل، والانتقال من كون الطالب مجرد متلقي للمعلومة إلى متفاعل معها، بالإضافة إلى استغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة في إيصال المعلومة، فلا يعقل أن نكون في زمن التكنولوجيا وما زلنا نعتمد على الصبورة والطباشير أو على أسلوب الإملاء .
 - التنوع في معايير تقييم الأداء .
- 6- التركيز على العمل الجماعي التعاوني من خلال وحدات البحث، فرق التكوين، اللجان العلمية... الخ، لتحقيق التحسينات المستمرة، الجودة بكل أبعادها، التميز.

❖ **والشكل التالي يوضح كيف تتحقق جودة التعليم العالي من طرف الاستاذ الجامعي:**



المصدر: من إعداد الباحثة

العقبات التي تحول دون تحقيق جودة التعليم العالي: III-

على الرغم من أنّ عملية تحقيق جودة التعليم العالي مطلوبة بل ضرورية إلا أنها غير موجودة في كثير من الجامعات، وهذا يرجع لوجود جملة من العقبات التي تحول دون جودة التعليم العالي والتي استخرجناها من خلال إجراء العملية العكسية لمؤشرات ومعايير الجودة وفقاً لـ (Albert Edmonton) والمتمثلة في: "الهيكل التنظيمي، البيئة المحيطة، المدخلات، العمليات، المسؤولية، التمويل، الإصلاح التعليمي والتربوي، العوامل الاقتصادية والاجتماعية، الفعالية الإدارية للعملية التعليمية، فعالية التدريس، الانجاز المتضمن للنتائج المحصلة"²⁵.

ومنه المعوقات التي تحول دون توفر عامل الجودة في التعليم العالي تتمثل في:

- 1- غياب المسؤولية.
- 2- البيئة المحيطة غير المشجعة على التحسين المستمر وتحقيق عامل التميز، فوجود المناخ التنظيمي المثبط والمعرقل لكل المبادرات الجادة يعتبر من أكبر معوقات تحقيق عملية جودة التعليم العالي.
- 3- عدم كفاية الميزانية المخصصة للإنفاق على التعليم العالي، ذلك أنّ خير ما ينفق فيه المال العلم، فبه يستقيم أمر المجتمع وتحصل له القيادة والريادة في كل المجالات، وخير استثمار الاستثمار في المورد البشري، وكلما كانت الميزانية المخصصة للتعليم العالي غير كافية، كلما واجهنا صعوبات في مواكبة التغيرات الحاصلة والنهوض بقطاع التعليم العالي وفقاً لمعايير الجودة العالمية.
- 4- التمويل غير المستقل تماماً الموجه للتعليم العالي، حيث يعد تعدد الجهات الممولة للتعليم العالي - ونقصد هنا تدخل جهات أجنبية كمنظمة اليونيسكو والاتحاد الأوروبي - من معوقات جودة التعليم العالي بالدول العربية عامة، لأنّ هذه الجهات تسعى جاهدة لتبقي هذه الدول متخلفة من جهة، وتابعة لها في كل شيء من جهة أخرى، وهذا ما يفقد مؤسسات التعليم العالي هويتها الثقافية والحضارية، فالعيب ليس في اللغة العربية ولا في الدين الإسلامي مثلما يروج له، حتى أصبحت قناعة مسلم بها بأنّ اللغة العربية ليست لغة العلم ومن أراد العلم فعليه باللغة الإنجليزية.
- 5- الاستاذ الجامعي غير الكفء الذي هم فقط التحصيل المادي، فلا يمكن للجامعة أن تحقق صمعة طيبة ومردود جيد بوجود إطارات بشرية لا تحمل من اسمها إلا الشهادة، ففاقد الشيء لا يعطيه، ومهما توفرت كل الشروط المادية والتنظيمية والبنية التحتية الجيدة في غياب أساتذة أكفاء لا نستطيع الانطلاق نحو الجودة.
- 6- غياب التخطيط الاستراتيجي والرؤية الواضحة لدور الجامعة الفعلي على المدى القريب والبعيد.

7-الادارة غير الواعية بمنطلبات المرحلة الراهنة.

8-غياب تقييم الاداء المهني، فغياب عملية التغذية الراجعة لمخرجات التعليم العالي، وهل حققت هذه المخرجات الأهداف التي وجدت من أجلها أم لا يعتبر من أهم الأسباب التي تجعل الجامعة تراوح مكانها إن لم تزد تأخرا .

9-بعد مشاريع البحث عن معالجة قضايا المجتمع الفعلية، والذي يعكس غياب عملية المراقبة لنتائج ومخرجات فرق البحث، التي في كثير من الأحيان تصرف عليها أموال طائلة دون مردود ملموس لهذه الفرق على أرض الواقع في المقابل.

خاتمة:

من خلال ماسبق ذكره حول أهمية الأستاذ الجامعي ودوره المحوري في تحقيق جودة التعليم العالي يجب أن تهتم الجامعة بتوظيف الإطار الكفاء الذي يعرف متطلبات المرحلة الراهنة، ذلك أنّ توسيد الأمر لغير أهله يعتبر من تضييع الأمانة، وهذا مصداقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: أين (أراه السائل عن الساعة) قال ها أنا يا رسول الله قال: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".²⁶

بالإضافة إلى الاهتمام بهذا الإطار من كل النواحي وتوفير مناخ تنظيمي يساعد على الإبداع والإبتقان، وهذا كله من أجل الوصول بالجامعة الجزائرية إلى مصاف الجامعات المتقدمة والتي لها تأثير بارز في المجتمع، وما وصلت إليه الدول المتقدمة من تقدم وتطور في مؤسسات التعليم العالي لم يأت من فراغ، ولكن لوجود سياسة حكيمه وصارمة لقطاع التعليم العالي، تشجع على التميز وتدفع له وتحث على الانجاز .

فائمة المصادر والمراجع

- 1- محمد حمدي النشار: الإدارة الجامعية التطوير والتوقعات، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975، ص. 152.
- 2- حسن البيلاوي وآخرون: الجودة الشاملة في التعليم بين مؤشرات التميز ومعايير الإعتاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2006، ص. 12.
- 3- خالد محمد الزواوي: الجودة الشاملة في التعليم وأسواق العمل في الوطن العربي، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003، ص. 34.
- 4- أحمد مصطفى: معايير التقييم جودة التعليم لدى المدرسين، دار البيادق، الأردن، لبنان، 1997، ص. 12.
- 5- سعيد بن حمد الربيعي: التعليم العالي في عصر المعرفة -التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل- دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص. 381.
- 6- EFA: "Understanding education quality", Global Monitoring Report , -6 USA,2005,p.29.
- 7- عابدين محمود: الجودة واقتصادياتها في التربية، مجلة الدراسات التربوية، العدد 44، رابطة التربية الحديثة، القاهرة، 1992، ص. 16-17.
- 8- محمد الخطيب : الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي في التعليم، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 2003، ص. 14.
- 9- رشدي أحمد طعيمة ومحمد بن سليمان البندري: التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤي التطوير، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص. 81 .
- 10- إيمان سعود أبو خضير: التعلم التنظيمي والمنظمة المتعلمة اتجاهات إدارية حديثة لتطوير المنظمات، ط1، دار المؤيد، الرياض، 2007، ص. 101-102.
- 11- العبادي البغدادي: التعليم التنظيمي والمنظمة المتعلمة وعلاقتها بالمفاهيم الإدارية المعاصرة، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص. 49.
- 12- فيصل الغرايبة وفكر الغرايبة: مجالات العمل الاجتماعي وتطبيقاته، ط1، دار وائل، الأردن، 2009، ص. 67.

- 13-سورة: الأنفال، الآية.27.
- 14- مسلم بن الحجاج النيسبوري: صحيح مسلم، مج6، ج12، كتاب الإمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ص.213.
- 15-مرجع نفسه، مج8، ج16، كتاب البر والصلة والآداب، ص.134.
- 16-سورة: البقرة، الآية.195.
- 17-سورة: الملك، الآية.2.
- 18-سورة: النمل، الآية.88.
- 19- مسلم بن الحجاج النيسبوري، ج3، مرجع سابق، ص.1548.
- 20-البيهقي: الجامع لشعب الايمان، ج3، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003، ص.256.
- 21-shannon .T,J & shoenfeld ,C:Auniversity Extension ,the center of Applied Research in Education , New yourk ,1965, p3 .
- 22- النجار فريد راغب :إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، أميرال للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999 ، ص.73.
- 23-ابراهيم ناصر:أسس التربية، دار عمار، الأردن، 1989، ص.14.
- 24-علي راشد:الجامعة والتدريس الجامعي، ط1، دار الشروق للتوزيع والنشر، الأردن، 2008، ص.29.
- 25 Annotated ،-Albert Edmonton, "**Educational quality indicators**" 25 p.12.، 1999، Canada، edition Bibliography
- 26-محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج1، ط3، كتاب العلم، اليمامة، 1987، ص.33.